

## المسجد بين تأسيس الإسلام و نظرة المسلمين اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلام على أشرف أنبيائه ورسله حبيب الله العالمين أبي القاسم محمد، وآلته الطاهرين. ثم اللهم عن الدّاءِ ألمُ المؤبدَ على أعدائهم أعداء الدين.

لرَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ~ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ~ وَاحْتَلْ عُقْدَةً مِنْ  
لِسَانِي ~ يَفْقَهُوا قَوْلِي([1]).

اللهم وفقنا للعلم والعمل الصالح، واجعل نيتنا خالصةً لوجهك الكريم، يا رب العالمين.

في الحديث الشريف عن النبي الأعظم (ص): « من أفضل أيامكم يوم الجمعة... فأكثروا على» من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على»([2]).

عمارة المسجد في الإسلام:

وفي الحديث الشريف: «من بني مسجداً له في الجنة مثله»([3]).

للمسجد بين المسلمين خصوصية يعيشها المسلمون فيما بينهم. فأول مسجد في المدينة وضع قواعده النبي الأعظم (ص) هو مسجد قُبّا، ثم بني مسجده الشريف. ومن هنا بدأ المسجد يأخذ موقعيته في وسط أبناء الأمة المسلمة.

وللمسجد عمارتان: عمارة مادية، وأخرى معنوية. وفي كل منها أجر، فالذين يعمرون مساجد الله في كل البعدين، لهم من الخصوصية ما لهم، حتى أن القرآن الكريم خصهم ببعض المكرمات. قال تعالى:  
إِنَّمَا يَعْمَلُ مَساجِدَ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِرَبِّهِ وَالْيَوْمِ أُخْرِي وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى  
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا فَعَسَمَ أُولئِكَ أَنَّ يَكُونُوا مِنَ الْمُهَمَّةِ دِينَ([4]).  
إذ هنالك إيمان بما، وتسليم بما فيما يتعلق بأصل التوحيد، وهو الأساس في بناء إيمان الإنسان المسلم،

وكذا الإيمان باليوم الآخر، لما له من الخصوصيات، لأن الإنسان إذا ما وضع نصب عينيه ما في العالم الآخر من الخصوصيات، انضبّطت جميع تصرفاته القولية والفعلية.

ثم إقامة الصلاة، وهي عمود الدين، ومعراج المؤمن، والواسطة بين العبد وربه. وهي لا تقاد بطولها وقصرها، إنما تقاد بما تولده في داخل الإنسان من حالة النورانية الخاصة، التي ينسّل منها ذلكم الخيط النوراني، حتى ترتفع به إلى عوالم الغيب، حيث العرش.

وكذلك إيتاء الزكاة، ففيه إشارة واضحة بينة لما للبعد المالي من أثر في بناء المجتمعات، كأحسن ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، من تقدم ورقي وسعادة وكمال وثراء ورفاهية، فبغير المال لا يصل الإنسان إلى هدف، والقرآن صريح في ذلك حيث يقول: ﴿وَلَا تَنْدُسْ نَصْيَبَكَ مِنَ الدُّرْزِيَّاتِ﴾([5]). فالدنيا حق لي ولك وللآخر ما دمنا درجنا على هذا الكوكب، فعليك أن تأخذ نصيبك دون تعدٍ على الآخرين، وقتها تعيش السعادة، ومن يعيش من حولك سيناله الكثير من ذلك أيضاً.

ثم قالت الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ يَخْشِ إِلَّا إِنَّهُ﴾، وهذه التربية في الارتباط بما، وأن لا يرى الإنسان إلا ما يكون في دائرة المطلق، خصوصية لا يصل إليها إلا الأولياء بعد مواجهة كبيرة مع النفس.

فالباعث للمسجد هو الشوق إلى الله تعالى، والحضور في دائرة المطلق من خلال واحد من بيته بفتح أمام الإنسان الكثير من المسارات التي على أساسها يشخص ويعيّن وينطلق، وهذا أمر مهم جداً.

ثم يقول تعالى: ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهَمَّةِ﴾، فيبعد تلك المسيرة الطويلة بين الإنسان نفسه، ثم بينه وبين ربه، ثم الرجوع إلى عوالم الغيب في النفس، ومن النفس إلى النفس، ثم إلى الناس، مسارات تتواصل فيما بينها فيرشد الإنسان المسلم، بناء على الضوابط والقواعد الأساسية، من آية محكمة، أو رواية صحيحة عن محمد وآل محمد.

وللمساجد خصوصية عند الله تعالى، حددتها وسبيّجها، ولا يمكن أن تتجاوز تلك الحدود وذلك السياج. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ الْمَسَاجِدَ فَلَا تَدْعُوْا مَعَ اهـ أَحَدَاهـ﴾([6]). وللأسف، أصبحت الدنيا اليوم بشكل آخر، ولم نرّ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوْا مَعَ اهـ أَحَدَاهـ﴾، وصار المسجد باسم فلان أو فلان، حال أن المساجد بيوت الله في الأرض، والمسلمون فيها شركاء، وعندما انقسم الصفّ، وأصبح هذا المسجد لهذه الطائفة السنّية، وذاك لتلك الطائفة الشيعية، صاعت الأمة، فالمسجد لا يقيّد بطائفة، ولا ببازل فيه، ولا بمؤسس له، ولا بإمام يوم الجمعة فيه، وإنما جميع المسلمين شركاء في أي مسجد

يقام في مشارق الأرض ومحاربها .

فالمسجد موطن العبادة الأول في الإسلام، من مكة إلى المدينة، ثم تشعبت البلدان وتعددت المساجد فيها.

والقرآن الكريم يحرك فينا واقعاً مفروضاً علينا كمسلمين، في أي بلد كان يعيش حالة من التعدد المذهبى، فيقول: ﴿وَمَنْ أَطْلَمْ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ إِنْ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا إِسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزْرٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾([7]). فالخراب يشمل التحريب المادى المباشر من الهدم والتكسير وعدم رعاية النظافة وغير ذلك. كما يشمل قطع الطرق، ومنع المؤمنين من إقامة الصلاة والحضور في جماعتها في أي مكان كان. فهذا خراب أيضاً، وتشويه لصورة المسجد التي ينبغي أن تكون شاخصة أمام ناظر جميع الناس.

فمن يسعى في خراب المساجد، صغرت أو كبرت، لا يدخلها إلا خائفاً، لأنه مصنف على الأعداء، فليس من حقه أساساً أن يدخلها، لأنه يسعى للخراب، إنما يدخلها من يسعى لعمارتها. وعمارة المسجد تكون ولو بصلة ركعتين فيها، أو تلاوة القرآن فيها، أو الدعاء والتسبيح والتهليل فيها، أو بالصلاه على محمد وآل محمد فيها .

ثم يقول تعالى: ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزْرٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وبذلك خسروا الدنيا والآخرة، وهذا هو الخسنان المبين.

قدسية المسجد وأهميته:

والمساجد أحب البقاع إلى الله تعالى، وهناك اليوم عزوف عام عن المساجد لدى الفريقيين، الخامة والعامة، وإن كنت لا أرغب بهذا التوصيف والتقسيم، وكم هو ثقيل على نفسي، لكنه واقع نعيشه، فأذكره من باب أنه موجود، لا من باب القناعة بالموجود.

فالمسجد أحب البقاع إلى الله، لأنها :

1 - فيها مصدق الإقرار بالعبودية حال التوجه للصلوة والسجدة والخشوع لل سبحانه وتعالى، وهو عروج خاص لا يشعر به إلا من يلتفت لما للسجدة من قيمة وأثر على المكون الروحي الداخلي.

2 – منها ترتفع أصوات الداعين **إلهانه وتعالى**، وبسبب ذلك يستجاب الدعاء. فمن يدعو مفرداً قد لا يكون مؤهلاً لنطرة اللطف من قبل المطلق له، ولكن الآخر قد يكون أكثر أهلية منه لذلك، فيستجاب للجميع بسبب داعٍ واحد، مؤمناً كان أم مؤمنةً. وهذه من النعم الكبرى التي يهينها المسجد للمؤمنين.

ومن هنا يمكن لمن لا يستطيع الصلاة في المسجد جماعةً، أن يصل إلى أهل بيته، فقد تكون المرأة أو الولد أقرب إلى **إلهانه وتعالى** منه، فيتقدم للصلاة بهم، ويروضهم عليها، ويغرس هذه البذرة الطيبة في نفوسهم، ليرى بعد ذلك كم هي البركة غزيرة. لكن الصورة اليوم مقلوبة للأسف، فتجد رب الأسرة غاية ما يقوم به أن ينهض لصلاة الفجر، دون أن يكتثر بأهل بيته وأبنائه. حال أنه راعٍ، ومسؤول عن رعيته.

3 – المساجد مواطن نزول الرحمة الإلهية، في العالمين الدنبو والأخروي، فزادنا اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فمن عمل هنا صالحًا نال الجزاء الأوّل هناك. قال تعالى في شأن زكريا (ع): **فَنَادَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ إِنَّ يُبَشِّرُكَ بِرِبِّكَ مُحَمَّدَ قَاتِلَهُ مِنْ أَنَّ وَسَيِّدَ دَارَ وَحَمُورَاً وَزَبَدَيَاً مِنَ الصَّالِحِينَ** ([8]). فهذه البشرى والرحمة الإلهية جاءته من ربه وهو قائم يصلى في المحراب، وهو عنوان خاص لبيت من بيوت **إلهانه وتعالى**.

لقد أكدت الشريعة المقدسة تعظيم المساجد وتقديسها والحفظ عليها، وتعظيمها من تعظيم الشعائر. قال تعالى: **وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ إِنَّهُمْ فَإِنْ تَرْفَعَتِ الْقُلُوبُ مِنْ قِرَاءَةِ الشَّعَائِرِ إِلَّا فِي حَدُودِ بَعْضِ الطَّقُوصِ الَّتِي نَمَارِسُهَا بِخُصُوصِ الْمَنَاسِبِ، حَالَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ هُوَ الْمَنْطَلِقُ وَالْأَسَاسُ وَالْحِجْرُ الَّذِي ارْتَفَعَ عَلَى أَسَاسِهِ بِنَاءُ الْإِسْلَامِ، وَثُبُوتُ قَوَاعِدِهِ وَأَصْلَتْ أَصْوَلِهِ، عَلَى يَدِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدَ (ص).**

### ضرورة رعاية حرمة المسجد:

ونسأل: من هم رواد المساجد؟ قد أجيئ بلون من الجواب، أو تحبيب هي بلون آخر من الجواب، ولكن أصدق الحديث ما جاء عن **إلهانه وتعالى** في كتابه المنزل على النبي المرسل: **فِي بُيُوتِ أَذْنَانِ أَنَّ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ~ رِجَالٌ لَا تُتْهِيْهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعً~ عَنْ ذِكْرِهِ أَنَّ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمَ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا يَبْصَرُونَ** ([10]).

فلننظر لحالنا اليوم، إذ أصبحت تلهينا التجارة والبيع عن ذكر الله، بل تبادل الرسائل في الجوّال ونحن تحت سقف المسجد. وكذلك الأحاديث التي لا طائل من ورائها، ونسى أننا في محضر الله تعالى، وأنا نقدم القرابين العبادية بين يدي الله تعالى في زمن لا يتجاوز الدقائق المعدودة.

فالمسجد محل عبادة ووصول، ولا ينبغي التخلص من المسؤولية تجاهه، فالجميع معني<sup>٢</sup> باحترامه وأداء حقه، فهو ليس محلاً لتبادل أطراف الحديث أو غير ذلك، ومن أراد أن يتبادل أطراف الحديث ففي الجواب والمساجد مكاتب<sup>٣</sup> مفتوحة ومهمأة وفيها ما لذ وطاب، والخدمة في أفضل المستويات. فمن شاء أن يقضي وقتاً خاصاً للحديث أو غيره فليأت تلك المكاتب، ويترك للمسجد حرمته وخصوصيته العبادية.

ولا يفوتنـي هنا أن أقدم شكري لمن رسموا هذه اللوحة الجميلة لهذا الجامـع، وجعلـوا منها لوحة<sup>٤</sup> يرغـب الآخر في استنساخـها، فأنتـم أهـلها، وأنـتم الذين نقشـتموها، ورفعـتموها عـالية، فلا تسمـحوا لها بالتشـوه والضـياع، وبـيدـنا نـحن. فلا مجالـ هنا للمـجامـلة على أساسـ الصـداقة أو القرـابة، فـنـحن جـمـيعـاً نـأتـي إـلـى الجـامـع للـصلـاة والـتعـبد، والـمـسـؤـلـيـة تـقـع عـلـى عـاتـقـ الـجـمـيع، فـلا تـسمـحـوا بـخـسـارـتـنا لـهـذه الصـورـة الجـمـيلـة والـلوـحة الرـائـعة، فـلا تـسمـحـوا أـن يـخـسـرـها المشـهـدـ المـجـتمـعي بـشـكـلـ عـامـ، لأنـي إـذـ خـرـجـتـ مـنـ هـذـا المسـجـدـ، وـدـخـلـتـ مـكـانـاً آـخـرـ، وـسـمعـتـ مـا يـقـالـ بـحـقـهـ، مـنـ أـنـهـ فـيـ أـحـسـنـ حالـاتـهـ، فـلاـ شـكـ أـنـيـ أـشـعـرـ بـالـسـعـادـةـ لأنـ لـي بـدـاً وـحـطاً فيـ رـسـمـ هـذـهـ الصـورـةـ الجـمـيلـةـ، وـأـعـنـيكـ أـنـتـ وـأـنـتـ، وـجـمـيعـ مـنـ لـهـ يـدـ وـدـورـ فيـ ذـلـكـ.

فـحقـ المسـجـدـ عـلـيـنـا الاـشـغـالـ بـالـعـبـادـةـ فـيـهـ، وـهـلـ فـُـتـحـ المسـجـدـ إـلـاـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ؟ فـلـمـاـذاـ نـشـفـلـهـ بـمـاـ لـيـسـ مـنـ شـأـنـهـ؟

إـنـيـ هناـ لـأـعـنـيكـمـ أـنـتـمـ، بلـ أـؤـكـدـ شـكـريـ وـتـقـدـيرـيـ لـكـمـ جـمـيعـاًـ، وـوـاـلـاـ لـوـلاـ الـوـقـفـةـ الـتـيـ وـقـفـتـمـوهاـ منـ حـيـثـ الـحـفـاظـ عـلـىـ هـدوـءـ الـجـامـعـ وـنـظـافـتـهـ وـنـطـافـتـهـ وـنـظـافـتـهـ وـنـظـافـتـهـ وـأـرـكـانـهـ، لـمـاـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ هـذـهـ اللـوـحةـ الجـمـيلـةـ الـتـيـ زـحـسـدـ عـلـيـهـاـ، وـلـوـلاـ هـذـهـ الصـورـةـ الجـمـيلـةـ لـمـاـ جـاءـ الـأـعـزـةـ مـنـ هـنـاـ أـوـ هـنـاكـ، وـلـمـاـ تـجـشـمـوـاـ عـنـاءـ الـوـصـولـ إـلـىـ هـنـاـ، وـنـحنـ نـتـشـرـفـ بـخـدمـتـكـمـ.

إنـ الإـسـهـامـ بـعـمـارـةـ المسـجـدـ أـمـرـ مـهـمـ وـضـرـوريـ، وـكـلـ<sup>٥</sup>ـ بـحـسـبـهـ، وـقـدـرـ اـسـطـاعـتـهـ، فـلاـ أـقـلـ مـنـ الـهـدوـءـ فـيـ المسـجـدـ، وـعـدـمـ الضـحـيجـ، وـكـذـلـكـ فـيـ بـيـتـ اللهـ، أـمـامـ الـكـعـبـةـ الـمـشـرـفةـ، وـعـنـدـ مـقـامـ إـبـرـاهـيمـ (عـ)ـ وـحـرـمـ النـبـيـ الأـعـظمـ (صـ). فـعـلـىـ الـمـسـلـمـ أـنـ يـكـونـ سـفـيرـاًـ لـكـتـابـ اللهـ، وـلـمـحمدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ (صـ).

وـكـذـلـكـ أـخـذـ الـزـيـنةـ عـنـ الـذـهـابـ لـكـلـ مـسـجـدـ. قـالـ تـعـالـىـ: ﴿يـاـ بـنـيـ آـدـمـ خـذـُـواـ زـيـنـاتـكـمـ﴾ عـنـ دـاـعـيـ

كُل مَسْجِد ([11]), والحمد لله أننا نرى ذلك ونلمسه، ولكن من باب التأكيد، كي لا نفتر ونتراجع، فتحقيق الانتصارات في الحياة اليومية ربما يكون سهلاً، إلا أن الحفاظ عليها هو الأهم والأصعب، والاستمرار في النجاح أهم من النجاح.

يقول الحديث الشريف عن النبي محمد (ص): «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربَنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتآذى منه بنو آدم» ([12]).

أما النهي عن البيع والشراء في المساجد، فيقول الحديث الشريف: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، قولوا: لا أربح إلَّا تجارتكم» ([13]).

فالمسجد بيت الله وليس بيتك أو بيتي، ولا هو مكتب للعقارات أو التجارة، أو البيع والشراء.

وللمسجد دور في التكافل الاجتماعي، إذ يمكن أن تقع الغفلة والنسبيان عن الأخ أو الصديق أو القريب خارج المسجد، ولكن في المسجد يجتمع هؤلاء، فيلتفت بعضهم لبعض.

وبحسب الدراسات والإحصاءات الحديثة، لا تمر دقيقة واحدة في هذا الكوكب، دون أن يُرفع فيها نداء: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

كما يوجد في جميع أنحاء العالم ثلاثة ملايين وستمائة ألف مسجد، بمعدل مسجد واحد لكل 500 مسلم. وفي بلادنا العزيزة وحدها - التي تبلغ 30 مليون نسمة - أربعة وتسعون ألف مسجد. وهذه إحصائية حديثة في سنة 2019 م أعدتها شركة الخدمات المهنية والاستشارية، مع مركز تطوير الاقتصاد الإسلامي في دبي.

فما هو انعكاس هذه الكثرة من المساجد على مسيرتنا؟ لقد كان المسجد قبل ألف ومئتي سنة عبارة عن جامعة تضيء العالم بالعلوم والمعارف، فهل هي كالأمس؟

وفقنا الله وإياكم لكل خير، والحمد لله رب العالمين.